**تابع للمحاضرة الثالثة :الاتجاه الإحيائي في النقدج2**

**1/ ماهية الشعر والشاعر عند الرافعي:** عرف "الرافعي" الشعر في بعض المواضع تعريفات غامضة، يمكن أن نتبين منها قوله: «فما الشعر إلا لسان القلب إذا خاطب القلب، وسفير النفس إذا ناجت النفس، ولا خير في لسان غير مبين، ولا في سفير في غير حكيم»[1]، ويقصد بهذا أن الشعر الجيد هو ما يؤثر في سامعه كيفما كان موضوعه، بل هو ذلك النبع الغني بالمشاعر والأحاسيس المرهفة، أي أن جوهر الشعر عنده: إحساس وعاطفة، تعبير عن عالم حسي مجرد جوهره الإحساس.

ومن آرائه النقدية الموجهة للشعر ما تحدث فيه عن ذم الشعر المتكلف، الذي يفرض فيه الفكر على الإرادة ،و الإرادة على العاطفة، فلما تصدق العاطفة، ولا تخلو من الغلو، كما يذم التكلف الذي يأتي من عبادة الأوزان، وتقليد القدماء في صورهم ومعانيهم[2].

حديثه أيضا عن الشعر القصصي، وندرته في الشعر العربي، إذ يرى أن المعنى في الشعر العربي لا يضيء إلا بشعاع الخيال، ولذلك نجده قد اشترط وضعا جديدا يكون وسطا بين النثر والنظم، حتى يحمل الألفاظ والمعاني معا[3]، وكأن الشعر عنده هو التعبير عما لا يمكن التعبير عنه، أي فن وخلق وسحر، لا يتأتى إلا بامتزاجه مع الخيال والغوص في عمق النفس والتأثير في السامع له، يقول الرافعي :«إن المراد بالشعر أي نظم الكلام هو في رأينا التأثير في النفس لا غير والفن كله إنما هو هذا التأثير و الاحتيال على رجة النفس له واهتزازها بألفاظ الشعر ووزنه وإدارة معانيه، وطريقة تأديتها إلى النفس»[4].

كما أشار "الرافعي" إلى أن يكون الشعر تصويرا للطبيعة، مؤثرا في سامعه، أي لا أن يكون وصفا حسيا وإنما يريده وصفا لأثر الطبيعة في النفس، يقول: «وللشعر أساليب تنتجها القرائح ولكن جماع القول فيها، أنها تمثيل للطبيعة، فكأن الشاعر ينقل مناظر الأرض إلى الروح العالية، التي ترسل إلى الجسم شعاع الحياة، فتزيد تلك المناظر في قوة الإشعاع الإلهي، فلا يتصل بالجسم حتى تفيض هذه القوة على القلب فتهزه الهزة التي نعرف منها الطرب»[5] ، وكأن الشعر عنده حديقة مزهرة تنوعت محاسنها بتعداد ألوانها وزقزقة عصافيرها وأشكال أشجارها المختلفة.

---

[1] ينظر،مصطفى صادق الرافعي، ديوان مصطفى صادق الرافعي، (مقدمة الناظم)، الإسكندرية، مصر، ج3، 1903، ص9.

[2] عز الدين الأمين، نشأة النقد الحديث في مصر، ص126.

[3] ينظر، المرجع نفسه، ص126.

[4] مصطفى صادق الرافعي، وحي القلم، ج2، ص319.

[5] عز الدين الأمين، نشأة النقد الحديث في مصر، ص130.

- تحدث عن تنوع الشعر، وخصصه في الذاتية، أي في الروح والأسلوب والمبدأ والغرض[1]. وعليه فإن الشعر يمثل المعاني النفسية الخاصة والعامة، وهذه متأثرة بالحياة، فإذن الشعر تمثيل حقيقي للحياة، وفي هذا التمثيل خلوده، فالشعر عنده هو صاحب النفس الكبيرة بتجاربها في الحياة.

- وعليه فإن الشعر عنده تمثيل حقيقي للشاعر، أي أن دراسة أخلاق الشاعر وحياته عامة مهمة لتفسير شعره[2].

- كما أن الدراسة الصحيحة للشعراء ينبغي ألا تقتصر على أزمان هؤلاء وأقدارهم وأحوالهم في أشعارهم وقبائلهم وأسماء آبائهم ،ومن كان يعرف باللقب أو الكنية منهم، مع ذكر ما يستحسن من أخبارهم وما يستجاد من شعرهم وما أخذ عليهم من الغلط والخطأ في ألفاظهم وفي أخذهم من المتقدمين.

- فالشاعر في فلسفة الرافعي هو أكثر من شاعر فحسب، بل هو ذلك الكاهن الذي يتلقى الوحي الذي ينقله بدوره إلى المتقي في أبهى حلة، إذ يقول "الشاعر في رأينا هو ذلك الذي يرى الطبيعة كلها بعينين لهما عشق خاص وفيهما عزل على حده، وقد خلقتا مهيأتين بمجموعة لنفس العصبية لرؤية السحر الذي لا يرى إلا بهما، بل الذي لا وجود في الطبيعة الحية لولا عينا الشاعر"[3] ، فالشاعر إنسان يمتاز برؤيا خاصة تجعله يصور الجمال وسحر الموجودات في الطبيعة، فيرى ما لا يرى غيره ويحس ما لا يحسه غيره الإنسان العادي.

- فالشاعر عند الرافعي فنان فطره الله تعالى من أجل أن يوجد الجمال في الأشياء ويعبر عن سحرها للمتلقي فهو مبدع من نوع خاص، يبدع الألفاظ والمفردات في أبهى التعابير ويصور لنا بعينيه السحريتين أرقى المشاعر، ينقل إلينا تسابيح الكائنات من هذا الوجود، "ولهذا تمتاز قريحته بقدرتها على خلق الألوان النفيسة التي تصبغ كل شيء وتلونه لإظهار حقائقه ودقائقه حتى يجري مجراه في النفس (...) حتى إذا انتهى إلى الشاعر أعطاه هذه المادة في صورتها المكتملة[4]".

- كما أن الرافعي يرى أن اللغة هي سلاح الشاعر وبراعته، يشكل منها قوالب مختلفة الأشكال والأنواع من صور الجمال السابح في هذا الوجود، هذا الجمال النابع من نفسه، بل هو رؤيا تنبثق من خلق كل حاسة من حواس الشاعر وأنه نبع للأحاسيس، فجوفه كالمشكاة التي تشع نورا لتضيء الوجود من حولها، إذ يشهد لنا بمجموعة من عمالقة الشعر نبغوا فيه رغم فقدانهم حاسة البصر، يقول "فإذا كان الشاعر العظيم أعمى فهوميروس وملتون وبشار والمعري وأضرابهم... انبثق البصر الشعري من وراء كل حاسة فيه وأبصر من خواطره

---

(1) المرجع نفسه، ص131.
(2) المرجع نفسه ، ص130.
(3) مصطفى صادق الرافعي، وحي القلم، ج2، ص222.
(4) المصدر نفسه ص223.

المنبثقة في كل معنى ،فأدى بالنفي في الوجود المظلم أكثر ما كان يؤديه بهذه النفس في الوجود المضيء".

- فالشاعر عند الرافعي هو في عالم خاص يجمع في ذاته كل مواصفات النبوة والكهنة، يتلقى النور من ربه لينقله بدوره لهذا الوجود المنير ليبصر الناس بحقائق الموجودات وسحرها الذي لا يرى سوى بعيون شاعرنا العظيمة ،التي اكتسبت عظمتها من سحر البيان الذي يعانق نفس وفكر الشاعر العظيم، ولكي يتمتع الشاعر بهذا اللقب ويعتلي المكانة المرموقة اشترط الرافعي فيه أربعة شروط تمكنه من افتكاك لقب النبوغ وبلوغ أرقى درجات الحنكة الشعرية والشاعرية، يقول "ينبغ الشاعر بأربعة أشياء لابد منها: طريقة الدرس التي عالج بها الشعر وكتب هذه الطريقة والرجال الذين هم أمثلتها في نفسه، ثم ... ويا الله من ثم هذه فهي اللمحة السماوية التي تشرق على فؤاد الشاعر من وجه جميل ... وإذا تجددت في حياة الشاعر واتصلت تجدد بها نبوغه أو اتصل[1] ،وعليه يمكن القول أن الشاعر لا يسمى شاعرا لأنه يشعر بما لا يشعر به غيره.

**نقد الرافعي للعقاد :السّفود كنموذج:**

لقد نعت العقاد في "الديوان" مصطفى صادق الرافعي ووصفه بأنه عامي من فرعه إلى قدمه، وأنه يسرق مقولاته.

مجابهته للرافعي واتهامه بتزوير كتاب سعد زغلول في تقريظ كتاب الإعجاز، كل ذلك أوغر صدر الرافعي، وجعل الحقد فيه يلتهب فيستعد له بحملة نقدية لها مكانها في تاريخ الأدب الحديث، إذ وضع العقاد –شعره- (على السفود) بعد صدور ديوانه ذي الأجزاء الأربعة، ثم راح يقلبه على الجمر يشويه ويلهو به...[2].

أصدر مصطفى صادق الرافعي كتابه «على السفود» سنة 1930، والذي كان ينشره مقالات في مجلة «العصور»، بين سنتي 1930/1929، وقد بلغت قسوة النقد فيه الذروة، وذلك وحده خليق بالتسجيل، كما أنه يصور جانبا من المعرفة بين العقاد والرافعي، كما صور كتاب «تحت راية القرآن» جانبا من المعركة بينه وبين طه حسين.

**نقد العقاد:**

«على أن أغلب نقد الرافعي في هذا الكتاب نقد فقهي كنقده في غيره إذ عني فيه بالبيت الفرد وبنقد الصياغة والألفاظ، كما اهتم ببحث السرقات والخطأ الإملائي واللغوي والنحوي والصرفي والعروضي، واهتم باللفظ المبتذل، وفساد المعنى وفساد الذوق إلى غير ذلك من

---

[1] مصطفى صادق الرافعي، وحي القلم، ج2، ص223.

[2] مصطفى صادق الرافعي، على السفود، نظرات في ديوان العقاد، كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة، 2013، ص186، 187.

نقد لا يخلو من صواب لولا ما شابه من غلو وغرض مما جعله لا يذكر للمنقود حسنة واحدة»[1].

«على السفود هو كتاب نقدي يجسد واحدة من أشهر المعارك الأدبية التي دارت بين الرافعي والعقاد، فقد كتب في فترة اتسمت باحتدام الصراعات الفكرية والأدبية، والتي أدت بدورها إلى إثراء الحياة الفكرية والثقافية في مصر والعالم العربي، وقد أشار النقاد إلى الأسباب التي دفعته إلى نشر هذه المقالات، ومنها أنه أراد أن يحرر النقد من طوق عبودية الأشخاص، وقد رمى الرافعي من خلال هذه المقالات إلى الثأر لشخصيته ولكتابه إعجاز القرآن، الذي رماه فيه العقاد بسهم الانتحال من كتاب سعد زغلول، وقد تباينت آراء النقاد حول الحكم على الأسلوب الذي انتهجه الرافعي في كتابة هذه المقالات، فمنهم من استهجن هذا الأسلوب ومنهم من استحسنه واعتبره ضربا من ضروب الإصابة في القول، وقد وفق الكاتب في استخدامه للفظ السفود، للإشارة إلى ما تضمنته هذه المقالات من نقد مؤلم لاذع».

السّفود في اللغة: الحديدة يشوى بها اللحم، ويسميها العامة (السيخ)... ويجمع السفود على سفافيد.

ومن تناوله السفود قيل فيه مسفد لا يجوز غيرها، لأن تسفيد اللحم نظمه في تلك الحديدة للاشتواء، فالعقاد (مسفّد) في هذا الكتاب وهذا النقد (تسفيدة) وسفّده فلان وضعه (على السفود).

هذا وقد زعم "اسماعيل مظهر" حين تقديمه للكتاب بمقدمة وجيزة، أن يكون (السفود) مدرسة تهذيب لمن أخذتهم كبرياء الوهم ومثالا يحتذيه الذين يريدون أن يحرروا بالنقد عقولهم من عبادة الأشخاص ووثنية الصحافة في عهدها البائد[2].

وقد يكون العقاد أستاذا عظيما ونابغة عبقريا وجبار ذهن كما يصفون.

وسترى أثناء ما تقرؤه ما يثبت لك أن هذا الذي وصفوه بأنه جبار الذهن... ليس في نار (السفود) إلا أديبا من الرصاص المصهور المزايا.

والكتاب على الرغم مما فيه من قسوة بالغة وعبارات قاسية في حق العقاد، فإن فيه تذوقا رفيقا لأسرار العربية وأساليبها البيانية ووقفات بديعة حول صناعة الشعر ونقده ومعرفة غثه من سمينه، كيف لا والكاتب شاعر متمكن من أدواته.

**نماذج من نقد الرافعي لديوان العقاد:**

---

[1] ينظر عز الدين الأمين، نشأة النقد الحديث في مصر ص141.
[2] ينظر: مصطفى صادق الرافعي، على السفود، ص56.

يزعم المتشاعر أنه يعارض ابن الرومي ، ولعمري لو بصق ابن الرومي لغرق العقاد في بصقته ، يقول :

في كل روض قرى للزهر يعمرها

يا حبذا هي أبيات وسكان

ولا أدل على جهل العقاد بالنحو والعربية من هذا ، فإن (أبيات وسكان )، هنا في هذا التركيب ، يحبب أن تكون منصوبة على التمييز ، وقد جعلها مرفوعة لأنه جاهل جهلا صريحا.

بالغصن شبهه من ليس يعرفه

وإنما هو للرائين بستان

وهل نما قط في غصن على شجر

آس وورد ونسرين وسوسان؟

سرقة من ابن الرومي:

لأي أمر مراد بالفتى جمعت

تلك الفنون فضمتهن أفنان

تجاوزت في غصون لسن من شجر

يكن غصون لها وصل وهجران

تلك الغصون اللواتي في أكمتها

نعم وبؤس وأفراح وأحزان

ما أجمل هذا التصوير وأبدعه في جعل ثمار تلك الغصون الانسانية نعما وبؤسا وأفراحا وآلاما لما لها فعلها العقاد آسا ووردا ونسرينا وسوسانا .

- من خلال ما سبق يمكن القول :على الرغم من أن الرافعي محسوب على الاتجاه الإحيائي في النقد الذي عنى بالنقد اللغوي دون سواه، إلا أن له آراء نقدية كما رأينا جديدة كل الجدة في نقد الشعر، وهو لا ينتسب في نقده إلى مدرسة من المدارس انجليزية أو فرنسية، وإنما كان نقده وليد بصيرته النفاذة، وطبعه الصافي وتأثره بالحركة التجديدية المعاصرة، له بعض التأثر. «وعلى ما نزل من الشعر به أهله إلى صور الحياة بعد أن كان أكثره صورا

من اللغة وأضافوا به مادة خشنة إلى مجموع الأفكار العربية، ونوعوا منه أنواعا بعد أن كان كالشيء الواحد. واتسعت فيه دائرة الخيال بما نقلوا إليه من المعاني المترجمة من لغة مختلفة.